العمارة والقيم الجمالية بنظرة اقتصادية

د. حسان السراج

تتمتع العمارة في عالمنا المعاصر بقيم جمالية كبيرة ومساحة بصرية واسعة، إلا أن الدراسات الجمالية ترجح في أغلب الأحيان النظر إلى العمارة من زاوية بصرية وحسية.

وإنّ المنطلقات التي تعطي أبعاداً جديدة للبحث في مجال العمارة الإسلامية عامة وبالقيم الجمالية خاصة، انطلاقًا من أن العمارة هي إحدى نتاج التفكير الإبداعي للعقل البشري، فهو محور "العمارة ومصدر ملهم للإبداع"، والتي وجدت في صور إبداعية وأشكال جمالية، مستوحاة من البيئة والطبيعة والظرف والمكان، الذي أحاط في حياته العملية والوظيفية، ليستمد منها التكوين والفراغ الذي يجسده الفكر البشري برؤية فنية جمالية تخدم حياته الذاتية من كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، من خلال تجسيد مجسمات فراغية تحمل من خلالها هوية الشعوب الثقافية، لما تحويه من أنواع الفنون المختلفة، والتي تعبر عن عادات وتقاليد المجتمع، وتعتبر العمارة أم الفنون والحيز الثقافي المجسم الذي يعيش فيه المجتمع، وكذلك البيئة التي ينمو فيها الإنسان بقيمه وتقاليده، ولها أسس ونسب تساعد على تأدية الوظيفة والغرض المنشود، وتلعب العمارة دوراً بين الوظيفة والجمال، حيث تحدد الوظيفة نوعية الشكل المراد عمله، وذلك من خلال التناظر الوظيفي بين الشكل والوظيفة على المستوى الإنساني الوجداني والعاطفي، ولا يمكن إثارة الوجدان بدون اللمسة الجمالية، فالعمل المعماري بمثابة وحدة واحدة لابد أن تتكامل فيها العوامل الثلاثة هي: الوظيفة والتعبير والجمال.

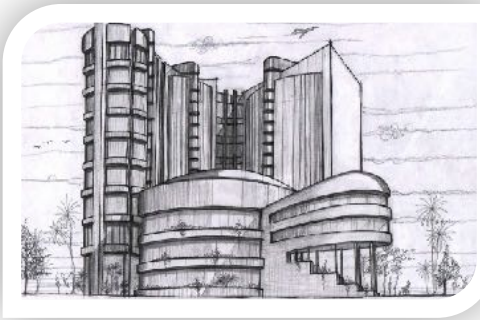

وهذا التكامل يصنع المعماري الصحيح والبناء الجميل من خلال الوظيفة والبناء كأساس للجمال وأي مبنى، فإنه يضع نفسه ضمن هذه القوى والأسس التي تحترم القوانين والوظيفة، كان للشكل نفس القيمة الجمالية في الأشكال الطبيعية، فقد وصل إلى قمة الحكمة، ويكون لعمله أعلى صفات الجمال، وليس وجدانيًا فحسب بل أخلاقيًا وروحانيًا، وأبرز دليل على ارتباط وظيفة العمارة بالمضمون هي العمارة الإسلامية التي تتميز بالوحدة، وكل التفاصيل الخاصة بالأشكال تشكيليًا وتقنيًا، فالعمارة الإسلامية لها طابعها المميز وشخصيتها الفريدة التي

لا يمكن للعين أن تخطئها سواء كان ذلك في التصميم العام للمبنى وعناصره المعمارية أو زخارفه المميزة، ومن هنا نجد أن الأماكن المقدسة، هي منشآت معمارية لها دور هام في المجتمع، سواء من الناحية الدينية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، ونرى على سبيل المثال المساجد والقلاع والقصور والأضرحة وسبل المياه، صروح معمارية تجسدت فيها روح الفن والجمال في شكله ووظيفته وعناصره، ومن هذه المنطلقات المعمارية الإسلامية، نجدها في الأسبلة المصرية كنموذج لأعمال معمارية بالغة الروعة والإتقان، لتنمية الرغبة المستمرة في البحث والتجريب والممارسة والوظيفة والمضمون للوصول إلى أعمال لها دلالات وظيفية وشكلية ورمزية.

وكثرت الجهود والبحوث التي يتم تسليط الضوء على فضاءات الإبداع والخيال، وما يتجلى فيهما من تشكيلات فنية ومكونات بصرية، لا تزال تتوالد وتتكاثر وتتسع لتشمل جوانب مختلفة من مجالات الفنون والمعرفة والعلوم الإنسانية، حيث يعد فن العمارة من أبرز الفنون التي تزدهر في أي حضارة إنسانية، فما من حضارة ظهرت على وجه الأرض إلا وتميزت بطابعها ونمطها المعماري الذي تختص به عن الحضارات الأخرى، حيث تفردت العمارة الإسلامية دون غيرها، بطرازها الفني والهندسي والجمالي، وتجلّت إبداعات المعماري المسلم وقدراته الفنية المذهلة في عمارة وتشييد المساجد والمستشفيات والمكتبات والقلاع، محققاً بذلك نهضة وحضارة لا تزال تزهو بخصائصها الفريدة والمميزة حتى الآن.

وتناول الدكتور علي عبد الظاهر ثويني، مهندس معماري من ستوكهولم – السويد، "مسرح المكان في الفضاء العمراني والمعماري"، موضحاً أن المكان هو الأرض التي حفر عليها الإنسان وجوده، وهو الجغرافية والبيئة وكل ما يحيطنا ويتعايش معنا، وهو الحيز الحاوي على صيغ من الأشكال تُملي أعرافًا وتوجهات فكرية ومشاعر حسية، وهو المؤثر في النفوس، وهو الذي يستطيع توصيل كل تلك الأحاسيس ويُملي على اللاوعي الإنساني نظامه وسيرورته، والانتماء للمكان يأتي لفعل الذات المتوارثة، وبذلك فالوطن مكون ثلاثي التركيب، أضلاعه الإنسان والمكان والزمان، وصاغ الإنسان زمانه في المكان، وشكل مكانه في الزمان، وبالتالي فإن الزمان والمكان يتدخلان في تربيته ومزاجه، وحتى سحنته، ويرسمان خصوصيته الثقافية. والمكان المثالي هو ما يحقق للإنسان ما يحتاجه من حماية، وسهولة حركة، وسمات جمالية، وهذا ما سعى إليه العمران والعمارة معًا، من أجل فهم طبيعة تفاعل الإنسان مع المكان وسلوكه فيه، وكيفية إدراكه للأشياء المحيطة به، بما يضفي بُعداً لوظيفة المكان الخاص بالإنسان، وأمست علاقته بالإنسان جدلية وتكتنفها هواجس تتسم بالحميمية، حتى أمسى الإنسان بدون مكان، والمكان بدون إنسان، أمراً عبثيًا يخلو من اللبابة، والعمار ة والعمران يرسمان ملامح حقب الإنسان،

فاقتران المكان بالزمان يُشكل البعد الرابع المكمل لأبعاد المكان الثلاثة، وهما المؤسسان لمفاهيم فكرية مجردة، والعمارة جزء من العمران المنتمي إلى المكان، وهو المسرح الطبيعي للبيئة، فعلاقة المعمار بالبيئة التي ولد ونشأ فيها تؤثر على اتجاهه المعماري، وعلى تفضيله لاتجاه ومنحى وطرز ولون دون آخر، فالمعمار الذي لا ينطلق من شروط المكان والبيئة والحضارية التي ينتمي إليها يسيء للمكان أو يعبث به، أو يزعزع أساساته الثقافية والمعرفية، وينزع عنه هويته.

فهناك اختلافات في وجهات النظر من حيث البعد الفني والمنظور البصري من حيث تقييم العمارة والقيم الجمالية له من خلال الشكل والألوان والمساحات والتراكيب، فنرى البعض

يتساءل عن القيم الجمالية للمباني، ويعتقدون أن إضافة بعض العناصر أو الزخارف أو الألوان من شأنه بالتأكيد أن يجعل المبنى جميلاً، وقد لا يعرفون ما يبذله المعماري المبدع من جهد وفكر ووقت ليحقق الجمال المنشود، إذ أن من يبدأ في دراسة مشروع معماري يجد نفسه مبدئياً في أحرج مرحلة من عمله، أي في اللحظة التي يجب أن يخط على الورق، الأفكار والحلول الإجمالية، في هذه اللحظة يتراءى للفكر وللذهن العديد من الأفكار والتركيبات لتتلاشى في الحال تقريباً، من كتل وحجوم، ومستويات وخطوط، وفراغ ومصمت، يتشاكل أمرها، ويمكن حل المشروع بعدة طرق، ثم تبدأ مرحلة رسم المسقط والواجهات والمنظور، والآسكتشات، ويستمر التفكير بعمق في ذلك الموضوع المعد للدراسة والتخطيط، من حيث المحتوى والوظيفة.

فبلغة الفن، يجب أن يكون الشكل رداء المحتوى، وبلغة الفنان الشخصية يجب أن يكون الشكل في وحدة تامة من الطراز، بالإضافة إلى كونه في توازن مثالي مع المحتوى، فإن من يبدأ في مثل هذه الدراسة يبحث للحصول على هذه العوامل عارفاً تماماً أنه من تغيير الوتيرة بين الفراغ والمصمت، أو بين زيادة أو قلة بروز كتلة أو جزء منها، وبين معايرة الفضاء الداخلي والخارجي، تكون هناك طريقة أخرى للإحساس بالمشروع.

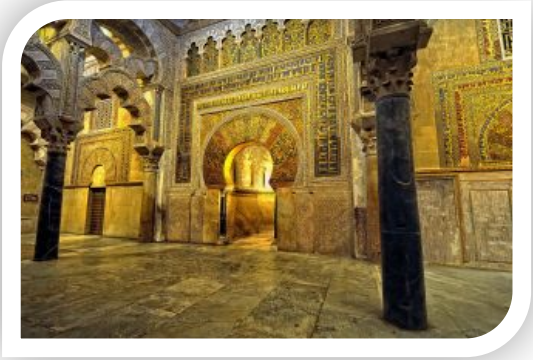

ونرى المعماري كيف يقوم بحل المعوقات والمشاكل العملية، وذلك بإعطاء كل مكان حجماً مناسباً للهدف المحدد، ومساحة مناسبة للحجم، ويعطي مطالب الحلول لهذه الحياة، بأن توضع كل غرفة خدمة في مكانها، وأن تظل منطقة الهدوء بعيدة عن المنطقة التي تكثر فيها الحركة... فإذا تحقق ذلك فهذا يعني أننا ضمنّا بطريقة آلية تحقيق الجمال المنشود بالهدف

المحدد. فالجمال يعني استعمالاً ذكياً لكل مادة بالاستفادة من إمكانيتها ومقاومتها، والجمال يعني أيضاً إخلاصاً ووضوح قراءة، ووحدة طراز، وتعبيراً للغرض الأساسي الذي أقيم من أجله المبنى فلا اختلاف في المظهر والهدف، فلا يجب أن يظهر المسجد كمصنع، والبيت كمكتب تجاري، والمدرسة كمصحة.

يقول العالم والمعماري السويسري " سيقفريد قيديون – " S.Giedion من أهم علماء وأصحاب نظريات العمارة الحديثة، ومؤسس " المؤتمرات الدولية للعمارة الحديثة، يقول عن القيم الجمالية والعمارة: " نحن لا نعتقد أن القيم الجمالية يمكن أن تضاف أو تنتزع من الخارج، إن القيم الأصلية الجمالية لا يمكن أن تنفصم عراها عن الموضوع، فهي تشع منه مثل الأزهار، أو أطباق الطعام التي تفوه منها الروائح العطرية، وهي كالعطور تثير إحساساتنا وعواطفنا" .

لذلك نجد أن الانطباعات الجمالية تقيدنا في كل لحظة، وهي تخلق فينا ردود فعل مؤيدة أو غير مؤيدة، فالقيم الجمالية ليست مجرد زينات مضافة، أو أشكال ملونة وصفات تشكيلية، إنما هي متأصلة في نفوسنا وتغرس جذورها في عميق أرواحنا، ويعمل تأثيرها على القرارات الإنسانية بطريقة واقعية وفاصلة، حتى في مشاكل عملية بحتة، إذ تعتمد عليها أشكال الأشياء المستعملة يومياً، وأشكال السيارات، والجسور، والأنفاق، وفوق كل شيء أشكال الوسط الإنساني.

الإنسان، بأنه يرفض وبكل قوة أي تحول في مستواه الجمالي، فتراه يعمل كل ما في جهده واستطاعته، بحيث يكون للأشياء شكل يتماشى مع اقتناعه العاطفي وتحقق رغباته النفسية. ويعود ذلك لنكتشف السبب، بأن درجة الثقافة والتثقيف العاطفي للإنسان، كان يلتمسه بشكل خاطئ، وجذوره متشعبة في هذه الثقافة العاطفية الخاطئة، الذي ظل متأخراً بالنسبة لتفكيره.

وكذلك تجد من مفاهيم القيم الجمالية في العمارة أيضا هي السمو والرقي في التخطيط والتصميم والإعدادات الكاملة للدراسة، لكي تعطي ذلك الطابع درجة الرقي والسمو فيها.

فالسمو من المفاهيم المطروحة في الدراسات المعمارية المعاصرة، التي تهتم بالثقافة والمعرفة والبحث، وقد برزت أهميته كأداة لخلق أعلى مستويات التواصل في العمارة في التيارات والحركات المعمارية المعاصرة، وتقول: المعمارية إيمان صبري عبد اللطيف قسم الهندسة المعمارية – كلية الهندسة – جامعة طنطا..

أن مفهوم السمو تأتي أهميته، بعد أن شهدت عمارة الألفية الثالثة في بداياتها تركيزا على مبدأ التواصل والانخراط مع المجتمع، ولقد تناولت العديد من الدراسات المعمارية مفهوم السمو في العمارة بصيغ تنوعت بحسب التوجه البحثي لكل دراسة، وهو الأمر الذي أكد أهمية المفهوم ضمن المجال المعماري بشكل عام، وقد اختصت هذه الدراسة بالتركيز على دراسة التوجه البحثي المتعلق باستثمار السمو كنظام تواصلي في العمارة الإسلامية، لأهميته في تميز النتاجات المعمارية الإسلامية، وقد أفرز تقويم هذه الدراسات، عن ضرورة إثراء المعرفة ضمن النظرية المعمارية حول المفهوم، وبذلك تبلورت مشكلة البحث وتحدد هدفه ومنهجه ببناء إطار نظري شامل يضم ثلاث مفردات رئيسية هي:

أولا: السمات الشكلية للسمو، المضامين التصميمية للسمو، آليات استثمار السمو في العمارة، والتي بدورها تحدد مفهوم السمو أولا ثم تطبيق إحدى هذه المفردات الرئيسية والأكثر أهمية، والمتمثلة بالسمات الشكلية للسمو، على عدة نتاجات معمارية إسلامية بارزة في عمارة المراقد الشريفة كنماذج.

ثانيا: ثم استخلاص أهداف استثمار السمو كمنظومة تستقي فكرها من التراث وخاصة التراث الديني والمعماري وتطبيقاته في عمارة المراقد الشريفة.

ثالثا: وقد أوضحت الاستنتاجات تركيز النتاجات المعمارية في عمارة المراقد الشريفة على السمو، كنظام تواصلي أي استثمار كل ما هو فريد وغير متوقع وعلى المستوى الشكلي والفكري والفضائي.

إن الحضارة الإسلامية من أهم وأعظم الحضارات التي مرت عبر العصور، بما لها من شخصية متميزة ومتفردة، تطورت باستمرار لتلائم طبيعة وظروف كل مرحلة من المراحل التي مرت بها، ولقد اهتم المعماري المسلم بالأداء الجمالي للمباني إلى جانب ا لأداء الوظيفي، فقد كانت المباني الإسلامية تحقق الموائمة البيئية والموائمة الوظيفية، والصدق في التعبير إلى جانب تحقيق المعايير الجمالية والإبداعية، ومن ناحية أخرى، فقد اهتم المعماري المسلم اهتمام كبير بإنشاء المباني المركبة، ويقصد بها المجموعات المعمارية التي تتكون من أكثر من مبنى مجتمعين معًا في مبنى موحد، يجمع العديد من الوظائف، ويدمجها في تشكيل واحد متكامل مع الاحتفاظ باستقلالية كل عنصر، ورغم تعدد المباني ووظائفها في المجموعة المعمارية إلا أن الناتج النهائي للمجموعة يكون موحد في التشكيل والتعبير، حيث أن الثقافة الإسلامية الواحدة ذات الجذور

العميقة في النفوس هي السبب الرئيسي في هذه الوحدة التشكيلية.

وتتركز المشكلة البحثية في أن العمارة المعاصرة في بلادنا تتعرض لأزمة حقيقية من أهم عناصرها هو فقدان القيم الجمالية والإبداعية، وإهمال النواحي التعبيرية الوظيفية، بعكس العمارة الإسلامية التي حققت التكامل بين الأداء الوظيفي والانتفاعي للمبنى من ناحية، والأداء الجمالي الإبداعي من ناحية أخرى، ومما لا شك فيه أنه يوجد لدينا أعظم تراث معماري في الكون، وهذا التراث مازال هناك الكثير من أسراره ومفاهيمه لا نستفيد منها، ويمكن لنا أن نلاحظ أن أغلب الاتجاهات المعمارية الحديثة، إنما هي نتاج لحضارات قديمة سابقة ومن ثم يجب أن نحاول استعادتها وإعادة دراستها لمحاولة الاستفادة منها في العمارة المعاصرة، ولذلك تهدف الورقة البحثية إلى محاولة التعمق في تحليل فلسفة، لربط بين المعايير الانتفاعية والإبداعية في تصميم المباني المركبة في العمارة الإسلامية للتعرف على أسرار تشكيلاتها ونتاجاتها الإبداعية، وذلك للخروج بأهم ملامح وسمات الربط بين الأداء الوظيفي والإبداعي الذي يميز تلك المباني، والتي يمكن من خلالها استخلاص بعض النتائج والتوصيات الهامة التي تفيد في رفع مستوى الأداء الوظيفي والإبداعي للعمار، إن مفهوم الجمال بجوانبه وتراكيبه وبمفرداته, بحر كبير وعميق غاص فيه الكثير من الفلاسفة والمفكرين والعلماء، فحاولوا تفسيره وتحديده بعلامات وضوابط معينة بالرغم من صعوبة الأمر, نظرا لاتساع وقوة هذا المفهوم كما حاول الكثيرون أيضا في إيجاد علاقة تربط بين مفهوم الجمال وعالم العمارة، فمنهم من رأى بأن هذا الجمال هو جزء لا يتجزأ من الشيء, ومنهم من رأى النقيض في كون أن تعبير الجمال يكمن في ذهن المتلقي فقط بحيث يكون مدى تأثيره في رؤية جمال الأشياء, وليس في كيفية تجسد الجمال في الأشياء على نحو مادي وملحوظ وإنما يتجسد في الفكر, وهي النظرية التي اتضح فيما بعد ضعفها بسبب أن الجمال إذا وجد فإنه سيكون ملحوظا،هذا ما يراه المعماري (زهور الشريمي) حيث يجد أن الكثيرون أجمعوا، على أن الأشياء في أغلب الأحيان لا يظهر جمالها إلا بعد تدخل البشر, الذي بدوره يحورها ويبلورها لأشياء تحاكي ذلك الحس الذي يستشعر ويتلقى الجمال, أي أنه لابد من جمال محسوس وملموس (تقريبا) حتى يتلقاه فكر الإنسان ويثير فيه الشعور بالجمال, وبالتالي فإنه في العمارة عند تواجد أي مبنى أو شكل فلا بد أن تكون فيه نقاط معينة، أو أن يحتوي على شيء يجعله في ذروة الإتقان والقوة في التعبير مما يدعونا لإعجاب

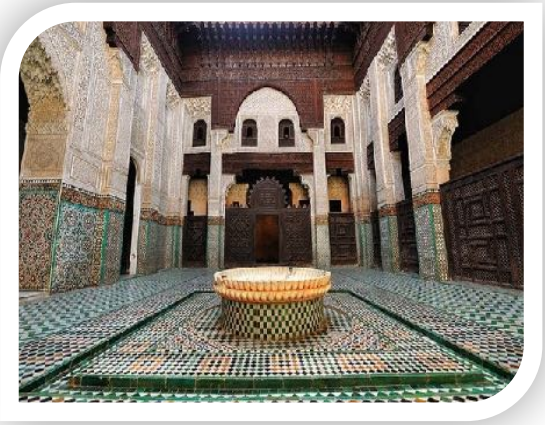

بهذه النقاط، أو نجد المعايير التي يجب أن يتوافر عليها المبنى أو الشكل ظلت إلى فترة طويلة خاضعة لمفهوم (فيتروفيوس) الذي كان أول من رأى بأهمية (الوظيفة والجمال والمتانة)، كعناصر أساسية في العمارة وكان يعتقد بأن جمال الأشياء هو نتاج لتوافق أجزاء الشيء تبعا لعلاقات معينة بين أجزاءه ,مدروسة بنسب معينة (كالنسبة والتناسب في جسم الإنسان) بحيث كلها مرتبط ببعض، فإذا نزع شيء منها أدى إلى تشوهها, وهذا الفكر استمر في تأييده الكثير من المفكرين لفترة طويلة، وقد ارتكز على خلفية أن الجمال وصف خارجي في حين أنه ينبغي حتى يتم الربط بين الجمال والعمارة, وحتى يكون الجمال وصفا لها وناتجا عنها وجزئا لا يتجزأ منها، أن نتخلى عن تلك النظرة التي من خلالها يتم النظر لجمال كوسيلة وصف وتعبير مجرد، إن نشوء هذا الفكر الذي اجتاح عالم العمارة وبقوة (الارتباط الوثيق بين الوظيفة والعمارة) يعتقد أنه ظهر في عصر الحداثة بداية القرن (العشرين) عند الغرب, متمثلا في تلك المقولة الشهيرة (الشكل يتبع الوظيفة) أي أن الجمال يأتي نتيجة مكملة لوظيفة المبنى, فالوظيفة لابد أن تتحقق أولا حتى يتحقق جمالها فإذا لم تتحقق الوظيفة بداية فبالتالي تعتبر تقنيا ومعماريا غير مستوفية لشروط الجمال لكونها غير ملائمة وظيفيا, أي أنه يؤدي المبنى وظيفته بطريقة منطقية وتلقائية بحيث ينسجم الشكل مع تفاصيله الإنشائية والمعمارية, فكلما زاد الانسجام بين هذه التفاصيل وفكرة المبنى كلما تحقق مفهوم الجمال, وبالتالي يكون القصد هو أنه إذا نجح المبنى في تحقيق البرنامج الوظيفي الذي أقيم من أجله يكون نجح أيضا في تكوين شكله ومظهره الخارجي المقبول بطريقة تلقائية، وهكذا فسر الكثيرون أن الوظيفة والجمال هما علاقة طرديه كلما اتقنت الوظيفة تبعها الجمال، حتى أنه كان للبعض أراء تشجع الاهتمام بالوظيفة حيث قال البعض: (أن كل شيء ذو فائدة هو رائع جميل ,فالأشياء التي تسبب ضررا للإنسان فهي قبيحة رغم تناسب أجزائها في جمال الصنع), فهناك رأي (لسقراط) في الجمال, فلا عجب من مبنى كائن ما يكون بيت او مدرسة أو متحف,..... أو أي منشأ أو مبنى ,تجد ظاهره يضاهي جمال تاج محل, وفخامة متحف اللوفر, ورونق قصر الحمراء, فإذا لم تتوفر فيه الوظيفة الملائمة لسكانه وزواره وعامليه فسيكون في نظرهم ليس جميلا كفاية, لأنه لا يتمتع بالمرونة الكافية, وهناك آراء حول ذلك الأمر ونقدا لأحد أساتذة العمارة في جامعة هارفارد (أن الأهرامات هي قبيحة، لأنها بنيت على أكتاف وأكف الآلاف المستعبدين من البشر) أي أن وظيفتها لا تلائم هيئتها وجمالها ولا تستحق كل هذا العناء, بالرغم من أنه في ذلك الوقت قد كانت الفخامة في الشكل والعزلة فيه مطلوبة، لمثل هذا النوع من المباني حيث اقتضت العادة أن تكون المباني الجنائزية على هذا النحو نظرا لاعتقادهم بوجود حياة أخرى سيبعثون فيها

ويعود فيها ملكهم معهم وبالتالي فقد أصبح الجمال في العمارة اعتماده الأكبر ليس بكثرة الزخارف الزائدة بل في البساطة المطلقة في التكوين, ورشاقة النسب, وصراحة التعبير, والمنفعة التامة النابعة من إنشاء مبنى في صورة حقيقة للغرض الذي أنشأ من أجله ,ومن ثم يكون التكوين متكامل ومتناغم فيه كل الخصائص الجمالية والوظيفية, وبالتالي نستطيع أن نقترب من تحقيق التوازن المعماري المتمثل في الوظيفة والجمال والمتانة والاقتصاد.

ويُعطينا التاريخ المعماري دائما الإشارات اللازمة لنشأة النظرية, وذلك من خلال تطوير الاحتياج في ضوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمعات, وإذا كان البحث العلمي يعتمد على المشاهدة والتحليل كطريقة لتوقع السلوك وإمكانية تطبيقه, إلا أن العلم المعماري اعتمد على تقيَيم ما بعد الإنشاء كنموذج يمكن من خلاله استنباط النظرية المعمارية, وبالعودة لمراحل تطور العمارة نجدها دائما متعلقة بفكر أشخاص عملوا كوسيط استطاع تطويع الاحتياج، ووضعه في قالب معماري مُتناسب مع ظروف الوسط المحيط, لتحقيق هدف (ديني، سياسي، اقتصادي أو اجتماعي)، وبعضهم قام بتحويل فِكره لعمارة باقية, وبعضهم لم يكتفى بالمنتج وأفصح عن فكره ورؤيته في صورة إطار وخطوات علمية.

وقد شهد التاريخ تصنيفات للطرز المعمارية طبقا لارتباطها بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إلا أنه ومع بداية كل حقبة نجد دائما معماري يضع بصمته ورؤيته التي طورت من هذه الأشكال المعمارية التي حولتها لطرز حقيقية لها خواص ظاهرة ووظيفة أساسية ومحددات خاصة بها، وتختلف بنماذجها حسب النظريات المعمارية المختلفة، في الوظيفة والشكل، وتبعا للمدرسة المعمارية التي يتبعها المعماري في الظرف المناسب والمناخ المطلوب وتُعرَف النظرية المعمارية بحسب رأي المهندس أحمد عبد القدوس على أنها "العلم الذي يحدد الأُطر الخاصة بالفكر وعملية التفكير في مجال العمارة, وهي الأساس والمبادئ التي يقوم عليها العلم المعماري ومنها ما هو مرتبط بكيفية بناء المباني، ومنها ما هو مرتبط بالفلسفات والرؤى المختلفة حول مكونات العمارة ودورها في خدمة البيئة والمجتمع, وهى وسيط فكري يُمثله المعماري، ويعمل من خلاله على الربط بين الأشكال والهيئات من جهة وبين مقتضيات الحياة الاجتماعية من جهة اخرى، إذ تحاول التوفيق في إعطاء أفضل الحلول الفيزيائية، للمفاهيم الاجتماعية، وهى خِطاب يُعين على الممارسة المعمارية ويحدد التحديات التي تواجهها.

وتعرض النظرية حلولاً بديلة تستند إلى مُلاحظة الحالة الراهنة للعمارة، وتعطي أمثلة فكرية جديدة لكيفية الاقتراب من المشاكل، وطبيعتها التأملية، والتوقعية، وتعمل النظرية على مستويات عدة منها تقويم المهنة المعمارية، وتقييم أهدافها وعلاقة المهنة بالثقافة والحضارة، وتتعامل النظرية مع طموحات العمارة بقدر تعاملها مع إنجازاتها.

ويحتاج وضع النظرية المعمارية وصياغتها إلى شقين أولهما هو: الخلق والإبداع، ثم التحليل، والتركيب والتقييم، وثانيهما هو: البيئة، الوظيفة، الجماليات، السلوك والتحديد والتوجيه، وهذه هي الخطوات التي قام بها كل من وثق التاريخ أفكارهم من معماريين، فاستطاعوا أن يصنعوا العمارة.

ونخلص من خلال ما تقدم أن الحضارة المعمارية والقيم الجمالية لعبت دورا هاما في تركيبة المجتمع التي أضحت أسسه على دور الفن والعمارة والشكل الجمالي في تغيرات حقيقية أثرت على حياته اليومية، ومن خلال أيضا التجارب والبحوث الصغيرة التي يقوم بها الناس والمبادرات التي يصنعها الفنانون والمعماريون، هي التي تحدث التغيير الحقيقي على مستوى "إصلاح المدينة" والبيئة العمرانية، ويظهر فيها الجمال كلاعب فعالا في مقياس الدراسات المعمارية الحديثة، والتي بدورها تقوم بدور تنمية الاقتصاد، ومن خلال الرؤية البحثية، لتلك القيم الجمالية المعمارية هو لفت نظر المجتمع إلى الفضاء المعماري الذي يتميز بفنون متعددة تعطيه المنظر الجميل والشكل الإبداعي والمكان الذي يشغله من حيث دوره الوظيفي من نواحيه المختلفة، والتي تسهم في دفع المجتمع إلى اقتصاد عريق تسهب فيه العمارة الجمالية وقيمها من حيث الإبداع وجلب الثروات من خلال السياحة والتجارة وغيرها، فالعمارة مهنة تجارية هدفها الكسب المادي قبل تقديم عمل فني واجتماعي يحدث تأثيرات عميقة في ثقافة المجتمعات، ونرى تزايد طغيان التجارة على الفن في العمارة في العقود الأخيرة، فتجده زاد من كلفة البناء وجعل كثير من المعماريين يتخلون عن مبادئهم وقيمهم، التي نشؤا عليها من أجل تحقيق مكاسب مادية عاجلة.

وبالطبع هذا التحول الكبير في المفاهيم من العمارة الإنسانية إلى عمارة الربح والخسارة جعلت من المدن أشبه بالبورصة فتراجع مفهوم العدالة الاجتماعية في مقابل تراكم الثروات والأثرة الاجتماعية نتيجة لرسملة المدينة وتحولها إلى سلعة تباع وتشترى.